



ISSN : 2335-1071

فصل الخطاب



ISSN: 2335-1071

مخبر الخطاب الحجاجي
أهوله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون - تيارت

Laboratoire du discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret

العدد السادس عشر

فصل الخطاب

ملف العدد:

الشعرية و تلاثسي وثوقية التصنيف الأجناسي
جهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر انسجام الخطاب القصصي القرآني
حوارية البلاغة بين التخييل والإقناع لدى حازم القرطاجني
النفي البلاغي في القرآن الكريم
التمثيل الحجاجي للكنائية والتعريض في القرآن الكريم

ديسمبر 2016

ديسمبر 2016

Décembre

Revue n°16

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Décembre 2016

العدد 16

المجلد الرابع

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث
العلمية والنقدية واللغوية والأدبية والبلاغية
باللغتين العربية والأجنبية

Faslo El-Khitab

Revue périodique a vocation scientifique, traitant
des domaines de la critique littéraire, la linguistique
et la rhétorique en langues arabe et étranger

Revue N 16

Volume 04

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أسوله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
تسنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد السادس عشر

ديسمبر 2016

ISSN 2335-1071 ردمك

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون - تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زمرورة - تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhita@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغيتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدى المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.
2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.
3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .
4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط (Traditional Arabic) قياس 14 في المتن و11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط Times New Roman قياس 12 في المتن و10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسييات والأشكال فتكون صوراً IMAGE .
5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحتفظ المجلة بحقوقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .
6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .
7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصنيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

رئيس المجلة

أ.د. مدربيل خلادي

مدير جامعة ابن خلدون - تيارت

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. زروقي عبد القادر

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

رئيس التحرير : أ.د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير

د. داود احمد	د. سبيع بلمرسلي
د. درويش أحمد	د. بوعرعارة محمد
د. غربي بكاي	د. قوتال فضيلة
د. كراش بخولة	د. بن فريجة جيلالي
د. معازيز بوبكر	د. عزوز الميلود

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. بوهادي عابد - جامعة تيارت	أ.د. فيدوح عبد القادر - البحرين
أ.د. مرتاض عبد الجليل - جامعة تلمسان	أ.د. خلف الجردات - المملكة الأردنية
أ.د. العشي عبد الله - جامعة باتنة	أ.د. بوحسن أحمد - المغرب
أ.د. حسن نعمي - المملكة العربية السعودية	أ.د. عباس محمد - جامعة تلمسان
أ.د. بشير بويجرة محمد - جامعة وهران	أ.د. آمنة بلعلي - جامعة تيزي وزو
أ.د. توفيق بن عامر - تونس	أ.د. سطمبول الناصر - جامعة وهران
أ.د. حسن البنداري - عين شمس - القاهرة	أ.د. خميسي حميدي - جامعة الجزائر
أ.د. دراوش مصطفى - جامعة تيزي وزو	أ.د. كوارى مبروك - جامعة بشار

الفهرس

- 05.....كلمة رئيس التحرير.....
- الشعرية وتلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي،
- 07.....تشظي الأصل الجامع وتكوثر التشجير المفارق(سطمبول ناصر).....
- جهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر
- 25.....انسجام الخطاب القصصي القرآني(بن يمينة رشيد).....
- 41.....الانفصال في العربية، "الضمير أنموذجاً"(نافع سلمان جاسم).....
- حوارية البلاغة بين التخييل والإقناع لدى حازم القرطاجني(آيت حمدوش فريدة).....
- 63.....مفهوم النظم عند المعتزلة،
- 71.....الملامح الفكرية لرؤية المعتزلة للإعجاز في الخطاب القرآني(دحماني شيخ).....
- منهج دراسة المجاز في القرآن الكريم. بين فكر البلاغيين والأصوليين(طويل مصطفى).....
- 89.....
- 105.....التمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم(بختي العياشي).....
- النفي البلاغي في القرآن الكريم(ميسومي نور الهدى).....
- 123.....
- الحجاج في الخطاب النقدي الدرامي التلفزيوني:
- 143.....الإشكاليات والرهانات(القحطاني فيصل محسن).....
- تعليمية النص الحجاجي في المرحلة الثانوية
- 159.....الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية (حاج هني محمد/ روقاب جميلة).....
- 173.....الأداء الصوتي وأثره في تلقين رسالة الخطاب القرآني(حيمور إسماعيل).....
- الملامح التداولية لأسلوب التأكيد في التراث النحوي العربي
- 189.....مقاربة سياقية من خلال نظرية الأفعال الكلامية(بومسحة العربي).....
- المرجعيات ودورها في تشكيل المصطلح بين مدّ التراث وجزر الحدائثة(شادلي عمر).....
- 201.....
- 221.....علم اجتماع الأدب، فروعه ومناهجه(أحمد الحاج أنيسة).....
- 235.....بلاغة السرد في قصيدة النثر، أدونيس أنموذجاً(حميدي شريفة).....
- دلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر(زرارة الوكال).....
- 243.....
- 253.....الشعر العربي بين رؤيا المقاربة والمفارقة في النقد(يعقوبي قداوية).....
- سؤال الهوية في الخطاب الديني في رواية "قليل من العيب يكفي"(بوشيبة عبد السلام).....
- 269.....
- حضور الخطاب الايديولوجي في الرواية الجزائرية "الوساوس الغريبة"(بوشاقور مليكة).....
- 279.....
- 291.....التراث والنص الروائي العربي(العراي محمد).....
- انفتاحه بنية النص اللغوية، في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه"(مسك خيرة).....
- 299.....
- لغة الاختصاص بين الغموض الدلالي وتحديات الترجمة(بختو عبد الحميد).....
- 315.....

كلمة رئيس التحرير بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما قبل

مع طموح متفلت من رقابة الواقع والمحيط، يتجاوز العراقي والمثبطات، وإرادة تعبد الطريق وتذلل الصعاب، وطاقم أغلبه شباب متطلع لرؤية أفضل، تشرئب روحه إلى المعرفة في أقصى مداها، وفي مختلف مناحها، قد يهون عليه ركام المعوقات والتعب وتردي ما صارت إليه الجامعة، وهو الذي عايش أوج عنفوانها ومع كل ذلك فيستنهض الأمل من جديد ويشحذ الروح والهمة معا، فتولد طاقة أخرى ترمم ما انصدع، وتوصل ما انقطع في حيوية متوشحة بالجسارة الروحية، والتحدي المتسم بالوقار.

وذلك ما يلاحظه الرائي المتأمل أو المتعجل من أسراب الطلبة والطالبات وهي تفد على قاعات مخبر الخطاب الحجاجي والمورد العذب كثير القصاد كما قال الشاعر قديما، وهو ما يزيد الثقة بالنفس، ويزرع الثقة والقبول، ثم احتساب كل ذلك عند الله تعالى .

وذلك ما دأبت عليه نخبة هذا المخبر، من خفض الجناح، أو التقرب إلى طلبة الدكتوراه أو الماجستير وحتى الليسانس، مما رغب هؤلاء الطلبة إلى الاندماج فرادى ومجموعات في هذا المخبر إما بالاستشارة أو اقتناء الكتب، فترى القاعة الكبرى كحديقة غناء وقد فاح أريجها، وباح عبقها. فتستقطب الفراشات والنحل، إما للاستجمام أو لصنع العسل، وذلك هو شأن مجلة فصل الخطاب، لسان حال مخبر الخطاب الحجاجي، في استقطابها للدراسات الجادة والواعدة في شتى أصناف المعرفة، تراثية كانت أم حديثة، ولا عبرة عندنا لهذا التصنيف الزمني، وإنما العبرة للمعرفة وحدها التي تنبني على التراكم، فلا قيمة للحاضر إلا باعتباره إفراسا للماضي، ولا قيمة لهذا الماضي إلا إذا كان حاضرا في وعينا ووجداننا حضورا يفاعل الراهن تفاعلا منتجا .

وهذا الوعي بهذه الإشكالات المتداخلة هو ما سيلاحظه القارئ في هذه المقالات المتنوعة كالشعرية وتلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي، تشظي الأصل الجامع وتكوثر التشجير المفارق، وجهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر، وانسجام الخطاب القصصي القرآني، والانفصال في العربية، "الضمير أنموذجا"، وحوارية البلاغة بين التخييل والإقناع لدى حازم القرطاجني، ومفهوم النظم عند المعتزلة، الملامح الفكرية لرؤية المعتزلة للإعجاز في الخطاب القرآني، ومنهج دراسة المجاز في القرآن الكريم. بين فكر البلاغيين والأصوليين، والنفي البلاغي في القرآن الكريم، والأداء الصوتي وأثره في تلقين رسالة الخطاب القرآني، والملاحم التداولية لأسلوب التأكيد في التراث النحوي العربي مقارنة سياقية من خلال نظرية الأفعال الكلامية، والمرجعيات ودورها في تشكيل المصطلح بين مدّ التراث وجزر الحداثة، وعلم اجتماع الأدب، فروعه ومناهجه، وبلاغة السرد في قصيدة النثر، أدونيس أنموذجا، ودلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، والشعر العربي بين رؤيا المقاربة والمفارقة في النقد، وسؤال الهوية في الخطاب الديني في رواية "قليل من العيب يكفي"، وحضور الخطاب الايديولوجي في الرواية الجزائرية "الوساوس

الغريبة"، وانفتاحيه بنية النص اللغوية، في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه"، ولغة الاختصاص بين الغموض الدلالي وتحديات الترجمة، وإيماننا منا بانفتاح المعرفة، مع اعترافنا بمفهوم التخصص الذي دأب عليه البحث الأكاديمي في صرامته ، ومع كل ذلك تظل المجلة وفيه لخطها الذي ارتضته تخصصا، مقيدا ومفتوحا في الآن ذاته. هذا التخصص التي هي مشروطة بوجوده تحديدا في الدراسات الحجاجية باعتبارها مدار المخبر ، وعليها بُني وبها يستمر، ومنها ينطلق وإلها يعود. وهو وفاء لشريعة عنوانه، ولذلك جاءت دراسات الحجاج في هذه المقاربات كالحجاج في الخطاب النقدي الدرامي التلفزيوني: الإشكاليات والرهانات، وتعليمية النص الحجاجي في المرحلة الثانوية الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية، والتمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم. وعلى كثرة ما يصلنا من مقالات كثيرة في التخصصات المختلفة، وعلى تفاوت كفاءتها العلمية فإن الفيصل الوحيد هو التحكيم السري، ولم تعد مجلة فصل الخطاب حكرا على أساتذة الجزائر فقد وصل صدها الى المغرب والامارات والسعودية وقطر والعراق وحتى بلغات أخرى وعلى هذا فإن طاقمها يرحب بكل الدراسات الجادة وسوف تبقى وفيه لخطها آملين أن يزيدنا الله مددا بلا عدد

ولله الفضل والمنة

الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

دلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر

الدكتور: زرارقة الوكال

المركز الجامعي - أفلو - الجزائر

يعدُّ الخطاب الصوفي بمصطلحاته المتميزة رافدا تراثيا بارزا من روافد الخطاب الشعري العربي المعاصر، وعنصرا تراثيا وفنيا أعطى للتجربة الشعرية المعاصرة نماء وتفردا وفاعلية في دلالية النص، ولأهميته في العمل التجديدي والتوظيف الفني ولع الشعراء المعاصرون به حيث يرى بعضهم أنَّ ثَمَّة ارتباطا بين طبيعة التجربة الصوفية وطبيعة تجاربهم الشعرية، ولذا نجدهم يستعينون بالعديد من المعاني والمضامين الصوفية في التعبير عن انفعالاتهم ووجهات نظرهم. وأصبح المتن الشعري العربي المعاصر مهوسا بتوظيف هذا العنصر الفني إلى جانب عناصر فنية أخرى متنا مفتوح القراءات، متعدد الدلالات، متنوع التأويلات، فأكسبه بذلك وأعطاه تجردا مستديما. ونهدف من خلال مقالنا إلى إبراز دلالة المصطلحات الصوفية من خلال الخطاب الشعري الجزائري المعاصر للكشف عن تعدد دلالاتها وتنوع رمزياتها لأنها لا تدل على معان محددة مضبوطة كما تدل المصطلحات العلمية فالكتابة الصوفية هي تجاوز لصناعة اللغة، وتجاوز للقواعد المتعارف عليها، وتجاوز لقوانين الربط بين الأشياء، ولعلَّ هذا ما جعل منها توليفا صداميا للمحسوس، والمعقول في الثقافة العربية.

الكلمات المفتاحية: الرمز الصوفي، دلالة الخطاب الشعري، الشعر الجزائري المعاصر، التجربة الصوفية، التأويل، الكتابة، الثقافة العربية.

The Sufist Symbol Significance in the Contemporary Algerian Poetic Discourse Abstract

The Sufist discourse within its distinctive terms is considered to be a major cultural source of contemporary Arabic poetic discourse, and a cultural and artistic element that gave the contemporary poetic experience a unique and effective development in the textual evidence. For its importance in the renewal work and artistic investment, it has ignited the contemporary poets' passion with some see that there is a link between the nature of the Sophist experience and the nature of their poetic experiences. Therefore, we find them using many Sophists' meanings and contents in expressing their emotions and viewpoints. Contemporary Arabic poetry has become obsessed by the use of this artistic element along with other artistic elements that are open-ended reading, multi-semantics, multi-interpretations, thus making it gain and acquire sustainable renewal. In the current article, we aim to highlight the meaning of Sufist terms through the contemporary Algerian poetic

تاريخ تسليم البحث: 03 أوت 2015.

تاريخ قبول البحث: 10 أكتوبر 2016.

دلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر ————— جملة فصل الخطاب

discourse to reveal its meaning multiplicity and symbolism diversity, because they do not indicate specific and accurate meanings as scientific terms do. The Sufist writing is bypassing the language production, the conventional rules, the laws of linking the things. Perhaps this is the specificity that makes it a paradoxical, almost irrational and often confusing discourse in the Arab culture.

Keywords: Sufist discourse, contemporary Arabic Poetic Discourse, artistic investment, multi-semantics, multi-interpretations

تمهيد:

يُعدُّ التصوف رافدا تراثيا بارزا من روافد الشعر العربي المعاصر، وعنصرا تراثيا وفنيا أعطى للتجربة الشعرية المعاصرة نماء وتفردا وفاعلية في دلالية النص، ولأهميته في العمل التجديدي والتوظيف الفني ولع الشعراء المعاصرون به، وأصبح المتن الشعري العربي المعاصر بتوظيف هذا العنصر الفني إلى جانب عناصر فنية أخرى متنا مفتوح القراءات، متعدد الدلالات، متنوع التأويلات، فأكسبه بذلك وأعطاه تجردا مستديما. ويعتمد الصوفيون في التعبير عن حالاتهم الروحية والمعرفية التي يعيشونها إلى لغة خاصة بهم ومسميات لا يعرفها إلا هم تُجسّد مبادئهم التي " تدل على أنّ المتصوفة قد نزعوا نزعة ذاتية عميقة، وأنهم يضربون في عالم ما وراء الحس، ويحاولون أن يصلوا بقلوبهم ومشاعرهم إلى ما لا يتسنى للعقل والحواس الوصول إليه، وقد اطمأنوا إلى ما وافهم به أذواقهم وأرواحهم من معان، وما صورت به عالم ما فوق الواقع من صورة لا توجد إلا في أذهانهم وأخيلتهم وبواطنهم".⁽¹⁾ وهذه الرؤية التي يريدون الكشف عنها تضيق اللغة العادية في التعبير عنها ولذلك يلجؤون إلى لغة الرمز أو اللغة الخاصة فالنصوص الشعرية الصوفية هي "نصوص حرباوية تأخذ دلالتها حسب القدرات المعرفية للقارئ، فالقارئ العادي لا ينظر إلى ما وراء الأسطر ودلالة الرموز والاصطلاحات بقدر نظره إلى مدلولها السطحي الذي لا يعتمد على آليات التأويل، فمكونات الطبيعة في نص صوفي لدى قارئ عادي هي ما اعتاد على رؤيته، أما بالنسبة لقارئ له خلفية صوفية فهي مجلى للجمال الإلهي لأن الصوفي يعبر من خلال تلك المظاهر الجمالية عن قدرة الخالق، وعن تمظهرات تجليه بل قد تُعبر لدى أقطاب المدرسة الفيضية ووحدة الوجود عن الذات المطلقة".⁽²⁾ والفرق بين المصطلحات الصوفية وغيرها من المصطلحات أنّها تقوم على الذوق فهي "لا ترجع إلى العقل في تفهمها كالأوضاع النحوية أو البلاغية أو ما شاكل ذلك".⁽³⁾ إلى جانب أنّها "لا تدل على معان محددة مضبوطة كما تدل المصطلحات العلمية".⁽⁴⁾ لأنّ الكتابة الصوفية هي "تجاوز لصناعة اللغة، وتجاوز للقواعد المتعارف عليها، وتجاوز لقوانين الربط بين الأشياء، ولعلّ هذا ما جعل منها توليفا صداميا للمحسوس، والمعقول في الثقافة العربية".⁽⁵⁾ وتُرجع هذه اللغة الخاصة وهذه المصطلحات عند الصوفية إلى جملة من الدواعي منها أنّ

الصوفية يستعملون هذه اللغة للكشف عن معانيهم لأنفسهم وإخفاؤها على من باينهم في طريقتهم وعدم التصريح بها فلا يفهمها إلا من كان ذا ذوق نافذ وشعور دقيق يستطيع من خلاله الولوج بفهمه إلى ما يريده المتصوف ويتحدث عنه فيشاركه ما يحسن ويشعر به. كما أنّ التلميح في لغة الصوفية هو السعي إلى تجنب المخاطر المحدقة بهم ولذلك كان "الصوفية يُؤثرون الإشارة وعدم البوح حقنا لدمائهم من جهة ولأنّ الإشارة تطلق الفكرة وتحررها على حين أنّ العبارة تقيدها وتحدها"⁽⁶⁾. ولهذا الدواعي اعتمدوا هذا الأسلوب الرمزي لأنّه وسيلتهم الوحيدة للترجمة عن رياضتهم الصوفية وفلسفتهم الخاصة في الوجود ورؤيتهم في السمو الروحي والالتحام بالذات الإلهية.

وقد وجد الصوفيون في الشعر وسيلتهم للتعبير عن حالاتهم ومواجهتهم ومقاماتهم باعتماد الأسلوب الرمزي ولغة الغموض، فهو الجنس الأدبي الذي يستوعب الأسلوب الرامز واللغة الغامضة، وهو المناخ المناسب لاحتضان التجربة الصوفية لأنّها تجربة ذاتية تقوم على الذوق والوجدان.

ومن معالم الشعر الصوفي اللجوء إلى الرموز الغزلية والخمرية للتعبير عن معانيهم فلم ير الشعراء الصوفيون بدا " من الاستعانة بقاموس الغزل والخمرية في الشعر العربي باعتباره أقرب موارد اللغة وأدناها من أذواقهم - متوسلين به إلى تقرير هذه القيم الروحية"⁽⁷⁾. ولجوء المتصوفة إلى هذا النوع من الشعر يدخل في إطار ما عرفوا به من كتمان وتلميح واعتماد الأساليب غير المباشرة للتعبير عمّا يعتلج في ضمائرهم وما يجول في عقولهم وقلوبهم لأن ما يتحدثون عنه من " الأمور الإلهية والتجارب الصوفية الروحية لا يحيط بها الوصف ولا يأتي عليها البيان"⁽⁸⁾. وكذلك لما بين الغزل العذري والحبّ الصوفي من علاقة متينة وملامح متشابهة "ففي كليهما نزوع إلى الإعلاء والتسامي، وشعور حاد بالتحريم الجنسي ورغبة في تحقيق ضرب من الانسجام والتوافق بين ما يرغب فيه وما يخشى منه من خلال شعور أخلاقي ينظمه الأنا الأعلى، ويُعدُّ المُحبِّ للدخول في علاقة متوترة بين الماد والروح، بين السماوي والأرضي وهيئة لممارسة جهاد عن طرق عقبات تتمثل في الإغراء الملح، والغواية والاستهواء اللذين لا يقاومان، وما على المُحبِّ إلا أن يتجاوزها ويعلو عليها"⁽⁹⁾.

الشعر العربي المعاصر والتصوف:

اتّخذت العناصر التراثية في القصيدة المعاصرة معادلات فنية للتجربة الشعرية ومنها العناصر التراثية (الصوفية) فقد اتخذت بُعداً فنياً في القصيدة المعاصرة بعدما كانت تتخذ في حقيقتها بُعداً سيكولوجياً ودينيًا وفلسفياً. وأصبح الرافد الصوفي من أبرز الروافد التي ساهمت في بناء القصيدة الجديدة وقولبتها ويعترف (أدونيس) أحد أقطاب القصيدة الجديدة

دلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر ————— مجلة فصل الخطاب

تنظيرا وإبداعا بذلك ويرى " بأن كثيرا من القيم الحضارية العربية مستمرة في الحركة الشعرية العربية الجديدة، ولكن هذه القيم لا تنبع من النصوص الشعرية بالمعنى التقليدي القديم بقدر ما تنبع من نصوص التصوف. فالتصوف حدس شعري، ومعظم نصوصه نصوص شعرية صافية، ولهذا فإنَّ القيم التي يضيفها الشعر العربي الجديد أو يحاول أن يضيفها إنما يستمدّها من التراث الصوفي العربي".⁽¹⁰⁾ واستعان (أدونيس) بالصوفية في جانبها الفني الذي يعطي للقصيد الجديدة شكلا حداثيا فهو لم يأخذ من الصوفية جانبها العملي المتمثل في الزهد وتربية النفس وتطهيرها بل أخذ منها جانب الكشف والإشراق وتوظيفها فنيا لتكون منسجمة مع نزعتة إلى السريالية التي أراد من خلال التوظيف الصوفي إعطاءها وجهًا عربيًا. واستغلال الشاعر المعاصر للموروث الصوفي في العملية الشعرية يترجم موقفه من واقعه الفكري والحضاري وحتى السياسي والاجتماعي ويبين أهمية الشعر بهذا التوظيف في التغيير الثوري القائم، " فحين تتخلى الصوفية عن وجهها السلبي لكي تنغمس في الواقع الذي ترفضه وتبتعد عنه فإنَّها تصبح بذلك فنًّا تصبح شعرا، إنَّها تجعل من كسوفها وسيلة لتغيير الواقع، هي تغيير هذا الواقع بالكلمة الشاعرة".⁽¹¹⁾

فاستحضار الشعر المعاصر للموروث الصوفي وتوظيفه في العملية الشعرية لتجسيد تجربة الشاعر يُعدُّ "تحقيقا لتواصل فني بجزء من تراثنا الأدبي الروحي الذي صار له امتداد في الحاضر من ناحية، وهو من ناحية أخرى يُعدُّ رمز احتجاج على مظالم الاستعمار الاستيطاني لأرضنا".⁽¹²⁾ فكان بذلك وجهًا من وجوه التحدي والتأكيد على الانتماء للتراث الإسلامي. كما أنَّ الشاعر العربي المعاصر أراد من خلال خطابه الشعري الصوفي "أن يتوغل بالوعي الإنساني نحو أعمق معان السمو على تفاهة الحياة وماديتها وحطَّها وأن يخلص الأنا من سجنه ويخرجه من هشاشة الواقع وحلق به في سموات المطلق اللامتناهي بغية تجديد النبض الروحي وارتقاء أعلى درجات الصعود نحو المتعالي".⁽¹³⁾

الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر ودلالاته

حُطِّيت التجربة الصوفية باهتمام الشعراء الجزائريين خاصة في فترة الثمانينات من القرن العشرين وما بعدها لما رأوا ما فيها من ثراء فني يُعطي لتجربتهم الشعرية وجهًا تعبيريًا متميزًا ويحدد معالم رؤيتهم الذاتية والجماعية تجاه ما يعيشونه في واقعهم المتغير وغير الثابت لعدم استقرار نظام الحياة فيه التي تتماوجها رياح الآخر الذي يحاول الهيمنة عليها بأفكاره وأخلاقه وإيديولوجيته. وانعكس عدم الاستقرار هذا على ذاتية الشاعر بارتداداته الدائمة وما خلفه من تصدُّعات في باطنه وانشقاقات مؤلمة في نفسيته ولذلك وجد الشعر الجزائري المعاصر في التصوف " خير ميدان تتفتح فيه ذاتية الشاعر وفرديته، فهو ينفصل عن المجتمع ظاهريًا،

ليعيش آلامه - التي هي في نفسها آلام المجتمع - بوجد مأساوي".⁽¹⁴⁾ كما أراد الشاعر الجزائري المعاصر من خلال اعتماد التوظيف الصوفي بكل أبعاده القريبة والبعيدة، الظاهرة والباطنة في شعره تحديد معالم رؤيته الفكرية والفلسفية التي أصبح البعد الصوفي فيما بعد جزء منها كشف عن جوانب من بواطن التجربة الشعرية " ومن ثمة يمكن اعتبار الرؤية الصوفية في الشعر الجزائري الحديث هي بحث عن الرمز الإنساني في معناه الأسمى ومحاولة وصل الذات بهذا المعنى لتأصيل جوهريته بوصفه امتدادا روحيا لأصالة الذات في نشدائها للمتمتعالي والمثال عبر جعلها الدائم مع الواقع القائم على التأمل والعيان والاستبصار".⁽¹⁵⁾

وقد أدى انجذاب الشاعر الجزائري لتوظيف الخطاب الصوفي في متنه الشعري كوسيلة فنية دالة، وكتجربة شعرية معبرة انقلابا على مستوى نظريته ومفهومه للشعر، فبعد هذا التحول الجديد في الخطاب الشعري الجزائري غدا الشعر في نظرهم يمثل " عالما سحريا يموج بالحركة والألوان، عالما لا يعترف بالأبعاد والحدود، إنه عالم التخطي والتجاوز والسعي وراء المطلق، كما أنه لم يعد خطابا قائما على التأثير والانفعال، إنه في حقيقته خطاب التساؤل المعرفي والتعدّد الدلالي والتنوع الرؤيوي وهو تبعا لذلك خطاب التأويل، والتعدّد الدلالي، خطاب القراءة المفتوح والأفاق المتعددة الأبعاد".⁽¹⁶⁾ كما أنّ توظيف الشاعر الجزائري المعاصر للخطاب الصوفي كأداة فنية تعبيرية جديدة من جهة وكملاذ روي أراد من خلاله التعبير عن شعوره بالإحباط، وإحساسه الدائم بالانزمام والغربة في واقع رآه بعيدا عن عالمه المثالي، " كما أنّ الشعراء الجزائريين المعاصرين وجدوا في توظيف الرموز الصوفية " حلاً فردياً لتعاسة الواقع، ومواجهة مظاهر الظلم والعزلة التي سيطرت على الواقع العربي في القرن العشرين، وعلى هذا النحو يصبح التصوف بشكل عام رمزا للسمو الروحي على الألام والهموم وكذا الثورة على العبودية".⁽¹⁷⁾

ويتجلى التوظيف الصوفي في الشعر الجزائري المعاصر من خلال التوظيف اللغوي المشبع بالنفحات الصوفية واستدعاء الشخصيات الصوفية ورموزها لما تحمله من ثقل دلالي وكثافة رمزية، إلى جانب استمداد روح الخطاب الشعري الصوفي القديم وإسقاطها على الخطاب الشعري المعاصر بما يناسب الموقف والتجربة ليعطي للنص الشعري زخما دلاليا معبرا عن واقع الشاعر برؤية جديدة. وكان للتوظيف الصوفي في الشعر الجزائري المعاصر دلالات رمزية متعددة اكتشفناها من خلال توظيفه للرموز الصوفية خاصة الحب والمرأة والخمرة والسكر والرحلة.

فموضوع المرأة والحب يعدّ من أبرز الموضوعات التي استأثرت باهتمام الشعر الصوفي الذي "أخذ من الجوهر الأثوي رمزا للحب الإلهي ولعلّ منشأ هذا الرمز يعود إلى تلك النزعة

دلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر ————— مجلة فصل الخطاب

الروحانية التي ميزت علاقة الرجل بالمرأة، والتي نجد آثارها في شعرنا القديم فيما عرف بالغزل العذري أو الحب العفيف".⁽¹⁸⁾ ولقد مثلت المرأة أهم رمز في الشعر الصوفي على الإطلاق "ذلك أنّ المرأة في الغزل الصوفي والحب الإلهي هي رمز الذات الإلهية".⁽¹⁹⁾

ونجد توظيف رمز المرأة في الشعر الجزائري المعاصر بشكل مكثف عند بعض الشعراء الجزائريين المعاصرين الذين وظّفوا هذا الرمز الصوفي لدلالات رمزية معينة أرادوا من خلالها تجسيد واقعهم الذاتي النفسي والجماعي، ومن أبرز هؤلاء (مصطفى محمد الغماري، عبد الله حمادي، عثمان لوصيف، ياسين بن عبّيد).

ويُعدُّ الشاعر (محمد مصطفى الغماري) أحد أقطاب الشعر الجزائري المعاصر المهتم بالاتجاه الرمزي الصوفي في الجزائر، وهو يوظف رمز المرأة في شعره إلى جانب رموز صوفية أخرى لتأكيد نزعتة الصوفية "وهي ذات دلالة أكيدة على أمر مهم وهو المفارقة الفكرية والروحانية والأخلاقية بينه وبين مجتمعه وافتراق المقاييس بينه وبين معاصريه".⁽²⁰⁾

ففي قصيدته "أنا المجنون يا ليلي" يقتفي الشاعر خطى الشعراء الصوفيين الذين كانوا يستعيرون أسماء الشعراء العذريين ومعشوقاتهم ويوظفونها في أشعارهم لتصبح قناعا يختفون وراءه للبوح بما يحسونه ويشعرون به من شوق وحنين ووجد، إلى جانب ذكر الأماكن المرتبطة بهذه الأسماء لما تحمله من دلالات رمزية. لكن شعراء التصوف الإسلامي في توظيفهم لرمزية المرأة المحبوبة كـ "ليلى وبثينة وعزة" كانت تحمل دلالة الحب الإلهي أو العشق الإلهي الذي يتعلق فيه المحب بمحبوبه تعلقا مثاليا بعيدا عن المادية. إلا أن "ليلى" الغماري تحمل دلالة رمزية جديدة تجسد واقع الشاعر الداخلي والخارجي فيه "لا تزيد عن كونها رمزا للعقيدة الإسلامية، فحنينه إليها، وحديثه عنها لا يعدو أن يكون إسقاطا لغربة روحية يعانها الشاعر وحنينا جارفا إلى إسلامية ستأتي وإن بخل الزمن العربي بذلك".⁽²¹⁾

فإحساس الشاعر بهذه الغربة في مجتمعه هو نتيجة إقصاء عقيدته من واقع مجتمعه والناس. وما يعيشه من صراع فكري وما يواجهه من تناقضات ومفارقات، وما رآه من تحالف أعداء هذه العقيدة عليها لضربها ووأدها جعله يتيقن بأن السلاح الذي تواجه به هذه الغربة وهذا الاستعداد هو العقيدة الإسلامية، ولذا نجده يحتفي بها وينزع إليها "نزوع المتشوق المحاصر.. فكان هذا سر الاحتراق والانتقاد.. والوجد الذي تفجّر حنينا وهياما، جموحا وثورة".⁽²²⁾

أنا المجنون يا ليلي	وأنت الجن والسحر
أنا السار بليل الح	زن لا شفق ولا فجر
ويا ليلي الهوى العذري	شوقي راعف غمر
على واد القرى لبيت	لما هاجني الذكر

سلي واد القرى كم همت لما أورك الحر⁽²³⁾

ونلاحظ هنا أنّ الشاعر يركب مطية الشعراء الصوفيين في التعبير عن هيامه بعقيدته الإسلامية التي لا يدخر في سبيلها جهدا ليحتضنها وتحتضنه ف "ليلي" و"المجنون" و"الهوى العذري" و"وادي القرى" هي في حقيقتها تلويحات صوفية تحيلنا إلى دلالات رمزية فكرية ثقافية لها صلة بمرجعية الشاعر الدينية وهويته الإسلامية.

أما الرمز الصوفي الثاني الذي أخذ مكانه في الشعر الجزائري المعاصر فهو السكر والخمرة التي احتلت وضعا متميزا في التراث الصوفي القديم، وكان لها نفس الوضع في الشعر الصوفي المعاصر، وغدت من أشهر ميادين الرمزية الصوفية إلى جانب الغزليات. واستخدام الشعراء الصوفيين الخمرة في أشعارهم للتعبير عن الحب الإلهي " لأنّ هذا الحب هو الباعث على أحوال الوجد والسكر المعنوي والغيبة بالواردات القوية عمّا يصرف عن الكينونة ويحول دون العلو".⁽²⁴⁾ ورمزية الخمر عند الشعراء المتصوفة هو سبيل السكر الذي يحقق لهم القرب من الحقائق الإلهية " فكما يسكر المخمور بالشراب، سكر الصوفي بالمحبّة الإلهية، وينتج عن ذلك الغياب عن الوعي، وعن الجسد معا، وهذا يولد ما يعرف عند الصوفية بالشطح".⁽²⁵⁾

ومن التجارب الرائدة في الشعر العربي الجزائري المعاصر والتي اتخذت من الشعر الصوفي سبيلا تعبيريًا ومن رمزية الخمر والسكر اتجاهًا للكشف عن أعمق الأشياء والبحث عن المعاني البعيدة جماعة من الشعراء جسّدوا في أشعارهم سياق هذا الرمز الذي يرتفع بصاحبه إلى درجة عالية من الروحانية والانتشاء من الحبّ الإلهي برؤية جديدة لأنّ هذه الرمزية تعمل على إثراء التجربة الشعرية وتكثيف الانفتاح الدلالي إلى دلالات لا متناهية فتتحقق حركية فعل التحول القرآني ويغلق فعل الثبات.

فالشاعر (مصطفى محمد الغماري) يوظف رمزية الخمرة في أشعاره لتأكيد اتجاهه السياسي والفكري في تكريس ثورته التغييرية للواقع، فصوفية السكر في شعره " لا تعدو أن تكون تأثرا بألفاظ صوفية ترد في شعره لتؤكد على حنين جارف مؤيد برغبة جامحة في إسلامية لم يجدها كما يردّها في واقعه".⁽²⁶⁾ ويؤكد ثباته على عقيدته المغيبة في واقعه وواقع الناس رغم ما يلاقيه من عذاب ووُجْد لغيابها وبعدها ولم يسأم من المعاناة ومن الانتظار لأنّها تستحق كلّ هذه العذابات ما دامت أنّها عقيدة الحق لا شهوة الإيديولوجيات الدّخيلة والغريبة⁽²⁷⁾:

عانقت في الأسحار أروع آية

يمتدُّ في خطراتها إحياء

تتوآب الأضواء عبر عبيرها

وعبيرها نار تفور.. وماء

دلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر _____ مجلة فصل الخطاب

سكر المواجد تعبق كرمها

ألم الهوى.. لا شهوة حمراء

ففي هذه الأبيات " نلاحظ مدى تعلق الشاعر بهذا الهوى والحب الذي يؤلمه ولكنّ الشاعر يتمسك ويصر عليه ليواجه (شهوة حمراء) ويقصد الإلحاد والشبوعية في مقابل الشريعة الإسلامية".⁽²⁸⁾

والدلالة ذاتها نجدها في بعض أشعار (ياسين بن عبّيد) التي يوظف فيها رمز الخمرة الصوفية، فينتشى الشاعر بخمرته ويعطيها أروع الأوصاف ويمهدها أجمل المشاعر والأحاسيس⁽²⁹⁾:

أيا شمساً.. نعانقها سكارى أعنت.. في مشارقها.. الرقابا
وفي ألوانها.. الخضراء غارت وعزّت دون شائتها.. جنابا
فمهما غصّة البعدين طالت وغاصت.. في مناخرنا.. حرابا
ومهما زلّت.. والدنيا زوال تزالين الأمانى.. والطلابا

وفي وصف الشاعر للخمر بالشمس دلالات ومعاني صوفية عميقة، لأنّ الشمس هي مصدر النور وهو " رمز مرتبط بالسمو والطهر وبقدسية الخلق والحياة الصافية في حقيقتها الظاهرة، سواء تجلّت في المرأة (الحبيبة) وما يرتبط بالحب من معايير الجمال والسمو، أو في الطبيعة وما في مجالها من الحس والإبداع".⁽³⁰⁾ كما أنّها " رمز للكشف والرؤى الروحية في هذا العالم الذي يسيطر عليه الظلام وتكتنفه العتمة".⁽³¹⁾

وإلى جانب رمز السكر والخمرة وظف مصطلح السفر أو الرحلة الذي يعد من أبرز مظاهر الشعر الصوفي خاصة أنّ الرحلة من واقع حياة الشعراء العذريين الذين راحوا يبحثون عن أحبّتهم المغيبين بعدما اكتووا بنار العشق، ولذلك وجدنا الشعراء الصوفيين يتزعمون إلى الرحلة لأنّها وسيلتهم إلى الاتصال بالذات الإلهية بعدما أحبّوها وذابوا في حبّها لأنّ هذا الحب " قسيم المعرفة في التصوف الإسلامي، ويبدو أنّه كذلك في كلّ فلسفة صوفية دينية، فخلال التجربة الصوفية يترقى الصوفي ويتسامى بروحه وأحاسيسه في الطريق إلى الحق، مبتغيا الوصول إلى الحضرة الإلهية حيث يكون الفناء في الحضرة الإلهية هو الغاية والهدف".⁽³²⁾ ومن ثمّة تصبح الرحلة هي وسيلة المحب للوصول إلى غايته.

ولا يخلو الشعر الجزائري الصوفي المعاصر من ذكر هذا الرمز وتوظيفه لتأكيد الدلالات الرمزية التي تدور في أغلبها في فعل الرفض للواقع المادي المتأزم والسعي للتحوّل إلى واقع الطهر والنقاء والخصب والنماء. ولم يكتف شعراء هذا الاتجاه في ذكر مواجدهم وأشواقهم والجبر بجهم بل راحوا يركبون الأسفار بحثا عن أحبّتهم وتحقيق أحلامهم في حضرة الرؤيا الصوفية.

فالشاعر (ياسين بن عبّيد) لا يخفي حبّه الشديد لمحبوبته (قضيتها) وفنائته فيها، فهو مأسور بحبها ولا يستطيع التخلص منه إلا بالسير الدائم والسفر المتواصل والهجرة إليه وهو بذلك يؤكد دلالة التعلق والالتصاق بما هو أفضل وأصلح وأنقى وأطهر، والتعلق والتمسك بالقيم والمبادئ العالية لا تتحقق بمدى حب الناس لها بل بالمجاهدة والمقاومة فطريق تحققها محفوف بالمكاره ومليء بالمشاق والمتاعب.

أنا في عيونك.. ذبت أسير.. أسيرا.. ولا زلت سائر
نشرت ظلالها هناك ككفل على شفّيته.. إليك يسافر
ولملمت شملي بلا موعد إلى قبليتك بحبي أهاجر⁽³²⁾

وخلاصة القول أنّ دلالة استدعاء وتوظيف الرمز الصوفي في الشعر الجزائري المعاصر تأخذ خطأ واحدا وفضاء دلاليا متقاربا يجسد واقعا يعيشه الشاعر كلّ إحساس بالعزلة والنفي والاعتراب واستلاب للمبادئ والقيم والمثل التي تحقق للإنسان إنسانيته وتحفظ له حقوقه وكرامته كما تجسد صراعا فكريا وحضاريا بحثا عن الثبات وتجاوزا للمتغير فيظهر الالتزام بالمبادئ والالتزام، والتعلق والتمسك بها والسعي للبوح بها والإعلان عنها وغرسها في أرض الواقع والذود عنها، كما تظهر هذه الدلالات فيما ينتاب الذات الشاعرة من يأس وإحباط في التعامل مع واقعها في كثير من المواقف، وثورة وانتصار في مواقف أخرى إلا أن عالم الأمل في تحقيق الأهداف والغايات يبقى قائما لأن الإيمان واليقين بالبقاء دائما هو للأصلح.

مراجع البحث وإحالاته:

1. الجندي درويش، الرمزية في الأدب العربي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص. 340.
2. كعوان محمد، شعرية الرؤيا وأفقية التأويل، دراسات في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، ط1، اتحاد الكتاب الجزائريين، 2003م، ص12.
3. الجندي درويش، الرمزية في الأدب العربي، ص. 341-342.
4. المرجع نفسه، ص. 341-342.
5. هيمة عبد الحميد، الخطاب الصوفي وآليات التأويل، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008م ص. 99.
6. اليافي عبد الكريم، دراسات فنية في الأدب العربي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م، ص. 199.
7. أحمد محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1984م.
8. اليافي عبد الكريم، دراسات فنية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص. 199.
9. نصر عاطف جودة، الرمز الشعري عند الصوفية، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1983م ص. 131-132.
10. جيدة عبد الحميد، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، ط1، بيروت، لبنان، 1980م.

دلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر ————— مجلة فصل الخطاب

11. إسماعيل عز الدين، الشعر العربي المعاصر - قضاياها ومظاهره-، ط3، دار العودة، بيروت، 1981م، ص:414.
12. حشلاف عثمان، الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر، منشورات التبیین الجاحظية، الجزائر، 2000م. ص. 45.
13. فيدوح عبد القادر، الرؤيا والتأويل - مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة-، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1994م، ص. 56.
14. عباس إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ط3، دار الشروق، عمان-الأردن، 2001م ص. 159.
15. فيدوح عبد القادر، الرؤيا والتأويل، ص. 52.
16. هيمة عبد الحميد، الخطاب الصوفي وآليات التحويل، ص. 163.
17. المرجع نفسه، ص. 199.
18. المرجع نفسه، ص. 201.
19. منصور إبراهيم محمد، الشعر والتصوف، ط1، دار الأمين، القاهرة، 1999م، ص. 56.
20. الطاهر يحيى، البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م، ص:132.
21. بوقرورة عمر أحمد، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، دار الهدى، الجزائر، 2004م، ص. 120.
22. الطاهر يحيى، البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري، ص. 13.
23. الغماري مصطفى محمد، ديوان أسرار الغربة، ط2، ش ون ت، الجزائر، 1982م، ص. 131.
24. نصر عاطف جودة، الرمز الشعري عند الصوفية، ط3، دار الأندلس، بيروت لبنان، 1983م ص. 366.
25. هيمة عبد الحميد، الخطاب الصوفي وآليات التحويل، ص. 257.
26. بوقرورة عمر أحمد، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص. 121.
27. الغماري مصطفى محمد، أغنيات الورد والنار، ش ون ت، الجزائر، 1980م، ص. 117-118.
28. هيمة عبد الحميد، الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص. 185.
29. بن عبيد ياسين، الوهج العذري، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1995م، ص. 24.
30. منصور إبراهيم محمد، الشعر والتصوف، ص. 31.
31. هيمة عبد الحميد، الخطاب الصوفي وآليات التحويل، ص. 236.
32. بن عبيد ياسين، الوهج العذري، ص. 31.